مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (23) – العدد (02) (ديسمبر، 2022) -ص397-408
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

إسهامات المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية 1954-1962

Contributions of Algerian women in the liberation revolution 1954-1962

خيري الرزقي*، (جامعة باتنة1)، rezki.khairi@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2022-02-03	2022-11-27

ملخّص

يهدف هذا المقال إلى التعرف على إسهامات المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية 1954-1962، وتدور اشكاليته البحثية حول: مدى مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية؟ وما هي أوجه وطرق هذه المساهمات؟ وما هي الإضافة التي ساهمت بها في تفعيل العمل الثوري؟ وتهدف المداخلة إلى الكشف عن الدور الحقيقي للمرأة في الثورة الجزائرية، وقد اتبعت المنهج التحليلي النقدي في معالجو هذا المقال نظرا لطبيعة الموضوع والمادة العلمية المعالجة فيه، وقد توصلت إلى عدة نتائج بحثية ومن أبرزها ذلك الدور الحقيقي والفعال للمرأة في الثورة والذي جسدته معظم الكتابات التاريخية، كما توصلت إلى مطابقة واقع هذه المشاركة مع توفر من وثائق أرشيفية .وخلاصة البحث هي أن الأدوار متعددة للمرأة في الثورة وموثقة بشواهد وأدلة تاريخية، وهي التي لعبت أدوارا حتى قبل اندلاعها لا تقل أهميّة عن تلك التي قام بها الرجال.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ الثورة؛ المدينة؛ الريف؛ الإسهامات.

Abstract

The article exposes the Algerian women's contributions to the liberation revolution 1954-1962. This research problem revolves around: the extent of Algerian women's contribution to the liberation revolution? What are the aspects and methods of these contributions? And what is the addition that contributed to activating the revolutionary work? The intervention aims to reveal the real role of women in the Algerian revolution, and I followed the analytical-critical approach in the treatment of this article due to the nature of the subject and the scientific material dealt with in it. I also reached to match the reality of this participation with the availability of archival documents. The conclusion of the research is that the multiple roles of women in the revolution are documented with historical evidence and evidence, and they played roles even before its outbreak that are no less important than those played by men.

Keywords: Woman; revolution; city; country; contributions.

*المؤلف المراسل

مقدّمة

ساهمت المرأة الجزائرية مساهمة فعّالة في الثورة وكانت مثالا للشجاعة والتضحية والبطولة، وقد سجل لنا التاريخ نساء قدن المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، وسقطن في ساحة المعارك وحققن النصر المبين وكنّ مثالا لصمود المرأة الجزائرية وتحديها لوسائل التعذيب الفظيع والاضطهاد والقمع، وقد شكلت المرأة عنصرا أساسيا في الثورة التحريرية ووقفت إلى جانب الرجال في تحمل المسؤولية إبّان الثورة المباركة.

لقد ساهمت المرأة بكل طاقاتها في خدمة الثورة على مختلف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية وتحمّلت الصعاب في كل مكان كمحاربة أو مسبلة أو سجينة أو معتقلة، وعليه فإن المرأة الجزائرية شاركت في أحداث البلاد بكل ما لديها من جهد بدني ومعنوي بالكلمة تتغنى بها لتثير حماس المجاهدين والمجاهدات وتدفع بعجلة الثورة إلى الأمام بصمود وجرأة، مما يزيد الثوار إصرارا وعنادا أكثر، وكانت تقدم المثال بشجاعتها وتضحياتها في سبيل الحرية، ومن هذا يمكن أن نطرح الإشكالية الرئيسة التالية: ما مدى مساهمة المرأة في الثورة الجزائرية؟ وما هي الإضافات التي قدمتها طيلة الثورة التحريرية؟ وكيف كانت أوضاعها قبيل اندلاع الثورة؟ وظروف التحاقها بها.

وتهدف المداخلة إلى الكشف عن الجوانب المتعددة التي ساهمت فيها المرأة خلال الثورة ومعرفة الأدوار المختلفة التي ساهمت فيها. توجد عديد الدراسات الأكاديمية التي عالجت هذا الموضوع من قبل، حيث نجد درار أنيسة بركات قد تناولت الموضوع في دراستها التي تحمل عنوان: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، وكذلك دراسة أخرى بعنوان: آراء ومحاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، إضافة إلى دراسة بونقاب مختار التي تحمل عنوان: مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية (1954 – 1962) وأيضا دراسة يحياوي مسعودة الموسومة: دور المرأة في الثورة التحريرية وكذلك بوعزيز يحيى في دراسته: المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، إلى جانب عديد الدراسات الأخرى المتخصصة في هذا الموضوع.

ومن أجل دراسة هذا الموضوع اخترت المنهج التحليلي النقدي؛ وذلك بغية الوقوف على الحقائق التاريخية للبحث، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج بحثية ومن أبرزها ذلك الدور الحقيقي والفعال للمرأة في الثورة الذي جسدته معظم الكتابات التاريخية، كما توصلت إلى مطابقة واقع هذه المشاركة مع ما توفر من وثائق أرشيفية. وخلاصة البحث هي أن الأدوار متعددة للمرأة في الثورة وموثقة بشواهد وأدلة تاريخية، وهي التي لعبت أدوارا حتّى قبل اندلاعها لا تقل أهميّة عن تلك التي قام بها الرجال.

أوضاع المرأة قبل اندلاع الثورة التحريرية

لم يكن وضع المرأة الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية إلا جزءا شديد التلاحم بالوضع العام الذي كانت عليه الجزائر في كل مجالاتها السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، ولقد تأثرت المرأة مباشرة بما يحدث من دمار شامل وإبادة جماعية تقع على عاتقها إن لم تكن هي ذاتها ضحية لها، ويمكن أن نتتبع الأوضاع التالية:

الأوضـاع السيـاسيـــة

لقد عاشت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية أوضاعا سياسية أثرت بشكل كبير على المرأة الجزائرية في شتى المجالات، وبخاصة أن هذه الفترة تميزت بالجمود والركود الفكري وانعدام الوعي الوطني وخلو الساحة السياسية من الحركات الإصلاحية الواضحة المعالم لتثبت الوعي في أوساط المجتمع. (بشي، 2000: 21).

لقد عرفت المرأة الجزائرية أسوأ الآفات من مجاعة وفقر وأمراض ومن الوضع الذي كانت تواجهه في محيطها وفي وسط المجتمع الذي تعيش فيه من آفات سلبية انعكست سلبا على حياتها، والظاهر أن وضعية المرأة في تلك الفترة لتكاد تنجر عن معاناة الشعب الجزائري خاصة قبل ظهور الحركات الوطنية والجمعيات الإصلاحية، وإن الاستعمار منذ أن وطأت قدماه الأرض كرس سياسة القتل والتنكيل، فلذلك عاشت المرأة معاناة كبيرة من خلال انتهاك حرمتها وكرامتها من طرف الاستعمار بما في ذلك من تعذيب وإهانات وسبّ والاعتداءات على شرف العائلات. (درار، د ت: 101).

كما كانت هناك زوجات وأخوات الثوار اللّواتي وقعن عدة مرات في قبضة السلطات الفرنسية، وقد قاموا بتعذيبهنّ جراء العمليات الخطيرة التي قام بها الثوار ضد العدو المحتل. (درار، د ت: 102).

وبالرغم من كل هذه الممارسات الاستعمارية، لم يضعف عزم المرأة الجزائرية، وقد تأثرت بكل ذلك بالقوة والثبات واليقظة، وقد سارت ضد هذه المخططات، وقد كانت المرأة الجزائرية بجانب الرجل، حيث اهتمت بالأحداث المؤلمة التي ألمت بالشعب الجزائري آنذاك، وشاركت بالمظاهرات كمظاهرات 8 ماي 1945، إذ ساعدت إخوانها المنكوبين والمسجونين في المعتقلات والسجون وإعانة عائلاتهم.

كما لعبت المرأة دورا هاما في التعبئة السياسية، حيث تم تأسيس خلايا نسويه لحزب الشعب الجزائري سنة 1945 إلى 1954 وقامت بدورها في نشر الكفاح من أجل الوصول إلى الاستقلال بين الفئات النسوية وذلك عن طريق الخطب والأناشيد الوطنية التي كانت في معظمها تمجد الشهداء الذين راحوا ضحية مظاهرات 8 ماي 1945 .وقد تعرض نشاط المناضلات إلى عدة صعوبات منها مضايقة السلطات الاستعمارية وبخاصة في أثناء توزيع الطرود على عائلات الضحايا، ويمكن القول إن المرأة الجزائرية قد مرّ نضالها السياسي بعدة مراحل أثبتت من خلاله وعيها ونضجها الفكري واستعدادها للنضال الذي ستبرهن عليه خلال الثورة التحرير في مختلف ميادين الكفاح (درار، 1985: 23).

الأوضـــاع الاجـتـماعيـــة

لم تكن الأوضاع الاجتماعية بالنسبة للمرأة الجزائرية أحسن من أوضاعها السياسية التي أثرت على حياتها ككل، فقد كانت في ظروف عادات وتقاليد وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة، وجعل لها البيت بمثابة سجن لا تغادره إلى إذا دفنت في القبر (بوعزيز، 2001: 23).

بالرغم من ذلك فإن المرأة كانت تضطر في غالب الأحيان إلى بيع حليها من أجل شراء قطعة أرض وقطيع غنم، فتكون في الأسواق تعرض منتجاتها للبيع، كما نجدها كانت تساهم في نشاط أعمال الحقل والأعمال الفلاحية، فهي تجمع أعباء الحياة المنزلية والاعتناء بالأطفال والمساهمة في أعمال الحقل والاعتناء بالحيوانات (الزبيري، 1990: 27).

أما الأوضاع الصحية تجدها تلجأ إلى التداوي بالطرق التقليدية باستخدام الأعشاب بكل أنواعها، وكانت في بعض الأحيان تقوم بالأشغال الحرفية التي كانت معروفة آنذاك في الجزائر؛ حيث كانوا يقومون بصناعة الخزف أو الفخار، وكانوا ينسجون الألبسة والزرابي، زيادة على ذلك صناعة بعض الأواني المنزلية. وبالمقابل فإن نساء المناطق الحضارية لم يكن بوسعهن الخروج إلى ميادين العمل إلا بنسب قليلة؛ بسبب التقاليد الجزائرية (بشي، 2000: 214).

ومن المظاهر الأخرى في الأوضاع الاجتماعية للمرأة التي كانت سببا في تخلفها، نجد ظاهرة الانحراف الديني المتمثل في الظروف المنحرفة التي انتشرت في المجتمع الجزائري وسيطرت على عقول الناس، وأحيانا كان يعتريها شعور بالعجز أو الضعف بسب بعض المشاكل والمواقف الصعبة التي تواجهها في الحياة، هذه الوضعية الاجتماعية للمرأة الجزائرية في ظل الاستعمار اتسمت بالتخلف والتدهور الاجتماعي من خلال ظواهر سلبية كالبؤس والفقر والشعوذة وغيرها من الآفات الاجتماعية والظواهر التي تعرض لها المجتمع الجزائري و المرأة قبيل الثورة التحريرية (بشي، 2000: 217).

الأوضـاع الثـقافيـة

إن الوضعية الثقافية للمرأة كانت أكثر تدهورا وسوءا من وضعيتها الاجتماعية والسياسية، وتدهور الوضعية الثقافية للمرأة الجزائرية كانت نتيجة عوامل متعددة (درار، 1985: 262)، منها أنها كانت سجينة وضحية أوضاع التأخر والجهل الذي تسبب فيه الاستعمار وحبيسة التقاليد وقيود ثقيلة ساعد على تثبيتها وجود الاستعمار (بشي، 2000: 262).

كانت المرأة الجزائرية بذلك قبيل الثورة سجينة؛ بسبب هذه الظروف وضحية للأوضاع المتدهورة والتأخر والجهل الذي خلفه الاستعمار، أما بالنسبة لقضية تعليم المرأة فلم يسمح للبنت بذلك، على أن يكون هذا التعليم قائما على أساس الدين والأخلاق المحمودة، فهي دعوة إلى التعليم لا إلى التحرير بالمفهوم الحديث، وضرورة تعليم المرأة والاعتناء بها داخل البيت وخارجه في إطار التعاليم الإسلامية والعادات والتقاليد البالية التي فرضت عليها (بوعزيز، 2001: 26).

ومما سبق نخلص أن الوضع المتشابك بين الاستعمار من جهة، والجهل وسيطرة الرجل من جهة أخرى تبين مدى الأثر السلبي الذي خلفته هذه الأوضاع مجتمعة على حياة المرأة الجزائرية ،و بالرغم من كثرة الصعوبات فإن المرأة الجزائرية لم تستسلم، وأثبتت وجودها قبل اندلاع الثورة داخل الحركة الوطنية ،وشاركت في مختلف المنظمات والحركات والجمعيات، وبالتالي كانت المرأة الجزائرية عنصرا أساسيا في الثورة الجزائرية، حيث وقفت إلى جانب الرجل وتحملت مسؤوليات سياسية وعسكرية، وكانت سندا قويا للكفاح المسلح، وقد أبلت البلاء الحسن سواء في الريف الجزائري أو في المدينة من أجل خدمة الثورة، وكانت مساهمتها على مختلف المستويات، فكانت مثالا لكل نساء العالم في التضحية والفداء(بوعزيز،2001: 27).

ظروف التحاق المرأة الجزائرية بالثورة

عرفت المرأة الجزائرية حياة قاسية وظروف صعبة كالجهل والفقر والتهميش، إلا أن ذلك لم يعن استسلامها وفشلها كما أنه لم يكن يشمل كل النساء، فبعضهن ثبتن أمام المحن وصمدن أمام الشدائد (بونقاب، 2014: 189-195). وقد عرف نضال المرأة الجزائرية بعد حوادث 8 ماي 1945، من خلال الخلايا النسوية لحزب الشعب التي تولد عنها اتحاد نساء الجزائر (وجمعية النساء المسلمات الجزائريات)، ما أدى بالمرأة إلى الالتحاق بالرجل في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وأحدثت مشاركة المرأة في الكفاح المسلح

إلى جانب أخيها الرجل انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار، وقد استقبل جيش التحرير المرأة المجاهدة باعتزاز وفخر واحترام وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن، واعتبرت بنت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين، فبرزت شخصيتها وأدركت أنها تعيش في عالم جديد يسوده الصفاء والإخاء (درار، 1985: 29).

ومنه يظهر التقدير الذي كان يبديه رجال الثورة بخاصة والشعب الجزائري بعامة للمرأة الجندية التي تخلت عن مهمتها الطبيعية لصالح مهمة أكثر أهمية، وذات أولوية، مما جعل المشاركة فيها أمرا ضروريا تقتضيه ظروف البلاد وأوضاع البلاد، فقامت بأدوار جديدة (الجهاد) تعبيرا منها عن مساندتها للرجل وتعاطفها معه وتأكيدا منها على أنها لن تتخلى عن وطنها وشرفها (بوصفصاف، 1997: 26).

ومن أهم الظروف والأسباب التي أدت بالتحاق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية في صفوف جيش التحرير نذكر:(درار، 1985: 31) وقوع زوجات وأمهات المجاهدين في يد السلطات الاستعمارية إثر قيام المجاهدين بعمليات خطيرة وذلك جراء أنواع التعذيب من سلب وإهانة للكرامة وانتهاك للحرمات والنهب ولتجنب الوقوع مرة أخرى في يد العدو والتفكير بالانتقام، قررن الالتحاق بالثورة وصفوف المجاهدين (درار، 1985: 31).

_ إرغام الفتاة الزواج من رجل ليس منخرطا في الثورة من طرف الأب أو الأخ؛ وذلك حتى تنشغل بحياتها الزوجية عن مساندة إخوتها في الجهاد.

_ عزم المرأة على الالتحاق بالجبل وذلك بعد إلحاحها على الالتحاق ونقل رغبتها إلى المسؤولين على أن يوافقوا بانضمامها، وعليها في حال قبولها أن تتميز بالصلابة وتحمل الصعاب والصبر أمام الشدائد، فدورها لا يختلف أو يقل عنه في كثير من الحالات عن دور المجاهد، وهذا ما مكنها من الوصول إلى مناصب قيادية والاطلاع بمسؤوليات ثورية هامة (درار، 1985: 110).

_ وقد قامت بعض النساء بدور المحافظة السياسية ومراقبة الجنديات والاطلاع على الوضع السياسي والاجتماعي إضافة إلى تقديم دروس حول مبادئ الثورة والقيم النضالية، والتعرف على موقف الجنديات من جيش وجبهة التحرير، وقد يستمر هذا العمل عدة أشهر حتى تنتهي، ويرفع تقريرها إلى الجهات المسؤولية (درار، د ت: 101).

إن الشعور الوطني لدى المرأة الجزائرية ليس وليد الثورة وإنما تمتد جذوره إلى عمق التاريخ، وهذه الأخيرة لم تتوان في تقديم التضحيات كلما تطلب الأمر، فقد ظهرت معظم الحركات الإصلاحية وانتشرت دعوات تنادي بالتحرر، وبدأ اسم المرأة الجزائرية يبرز، وبدأت المناداة بضرورة تعليم المرأة وتوعيتها، وقد قاومت المرأة الجزائرية قبل اندلاع الثورة كل الظروف الصعبة لتحقيق النصر.

كما سجل تاريخ الجزائر اسم جميلات الجزائر بحروف من نور اللاتي يضرب بهن المثل في التعلق بالوطن والاستعداد الكامل للتضحية في سبيل استرداد الحرية المسلوبة، وقد دفعت ثمن التضحية غاليا جراء الاستنطاق والتعذيب المعنوي والجسدي على يد الجلادين الفرنسيين والمستوطنين (خيار، 1974: 30).

تعد الثورة الجزائرية الكبرى 1954-1962 فترة استثنائية في تاريخ المرأة الجزائرية حققت في أثنائها حريتها وأثبتت وجودها، فالثورة لم تكن ضد المستعمر فقط، بل كانت أيضا ضد الأفكار البالية التي تميز بين الذكر والأنثى في الإنسانية، وكانت الثورة الجزائرية بمثابة القوة لدى الذكور والإناث فيها

يتساوى الاثنان مع بعض حيث يهبون حياتهم في سبيل الكفاح بما يملكون ويستطيعون (وسيني، 1963: 87).

الأدوار التي جسدتها المرأة في الثورة

المرأة نصف الرجل، والنساء شقائق الرجال كما تقول الأمثلة السائدة ويمثلن نصف المجتمع، في كل أمة وبلد عبر التاريخ، ولعبت دورا كاملا إلى جانب الرجال سواء في السراء أو الضراء وفي مختلف مجالات الحياة حسب الظروف والأوضاع والأزمنة والأماكن (بوعزيز، 2001: 6-9).

حين اندلاع الثورة تحت قيادة جبهة التحرير الوطني كانت المرأة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل تدعم الثورة بالنفس والمال والولد، وكانت المجاهدة في ميادين القتال، والفدائية في المدينة، فكانت الممرضة التي تسهر على راحة الجرحى والمصابين، وكانت الإدارية والمعلمة والمحافظة السياسية والأسرة وخزان الوطنية، وفي أحضانها نشأ وترعرع الأبطال من الشهداء والمجاهدين أبطال الحرية المدافعين عن الكرامة والهوية (خليفة، 2015: 361).

عند اندلاع الثورة الجزائرية كانت مساهمة المرأة واضحة في المجال العسكري، وكان دورها بارزا في التجنيد وتضحيتها كبيرة، فبفضلها تشكلت النواة الأولى للتنظيم العسكري للثورة الجزائرية، وكان المجند في جيش التحرير يعد في نظر المرأة الجزائرية رمزا للكرامة والبطولة، والذي لا يلتحق بالثورة يوصف أحيانا بالجبن، وقد كانت المرأة عرضة في كثير من المرات إلى استفزازات جنود الجيش الفرنسي (خيار، 1974: 30).

دور المرأة في المدينة

لقد احتضنت المرأة الثورة لما شملت المدن وهي مدركة لمسؤولياتها تجاه مدينتها ووطنها، فغامرت بحياتها وشرفها وقامت بمهام في غاية الدقة والخطورة، وكانت تقوم بتأمين المخابئ داخل المدينة، وكوّنت خلايا خاصة بالاتصال كما كانت تقوم بأدوار مهمة كجمع الأموال والأدوية والمؤونة والانتقال من مدينة إلى أخرى لتوزيع المناشير، كما كانت تخرج في مظاهرات إلى جانب المجاهدين لضم صوتها لهم، وكان لها الفضل في توعية النساء الماكثات في البيت بضرورة التحاقهن بالثورة من أجل تحقيق الاستقلال.

ويمكن القول إن المرأة الجزائرية كافحت في المدن والتحقت بالجبال لمساندة إخوانها المجاهدين هناك في سبيل تحرير وطنها حتى تضمن حقوقها وكرامتها الإنسانية من العبودية ومن جميع التقاليد الموروثة عن الاستعمار، فالعفة والكرامة جعلت الرجل والمرأة إنسانا واحدا اعترف بذلك العدو بنفسه.

لعبت المرأة أدوارا جوهرية في المدن لسهولة تنقلها، كما سارعت المرأة داخل المدينة إلى المشاركة في الثورة رغم الظروف التي كانت تتعرض لها من طرف الشرطة الاستعمارية وقوات الاحتلال في المدن الكبرى ومحاصرة من طرف الجنود الفرنسيين حصارا محكما (عرفي، 2015: 54).

كما شاركت المرأة في الكفاح ضد قوات العدو بصفة فعالة وشجاعة لا تزحزحها المحن، فنجدها بالمدن والجبال، وزُجّ بها في السجون والمعتقلات، كما كانت حاضرة بقوة في مختلف المسيرات والإضرابات وكان لها لمحة عبر التاريخ، فقد برهنت عن وعيها ووطنيتها من أجل الحفاظ على الوطن وقيمه وشخصيته، وما المرأة المجاهدة إلا امتداد طبيعي للرجل، حيث لم تتأخر يوما عن العطاء والتضحية (بالي، 2010: 275).

قامت المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بأعمال كثيرة كحمل السلاح والمشاركة في المعارك والاشتباكات، وقد أثبتت جدارتها وسجلت بصمتها فيها، فاشتبكت مع قوات العدو، فهي لا تهاب الموت ولا تخشى التعذيب إذا ما وقعت في الأسر، واستطاعت أن تثور على مجتمعها المنغلق وكل العادات والتقاليد البادية والضغوط الاجتماعية القاسية قبل أن تثور على المستعمر الفرنسي وتساهم في ثورة التحرير مساهمة فعالة مدركة بذلك مسؤوليتها اتجاه دينها ووطنها (درار، 1985: 30-54).

المرأة الفدائية

هي التي كانت تقوم بتنفيذ العمليات الفدائية في المدن، ولم تكن ترتدي الزي العسكري، بل تحتفظ بمظهرها الطبيعي لكي لا تثير شكوك العدو، كما أنها تميزت بالصرامة والصمود والجدية حيث كانت تقوم بعمليات تدمير مراكز العدو كالثكنات ومراكز الدرك والشرطة والملاهي والمقاهي وقاعات السينما، كما أنها كانت تحمل الأسلحة والمتفجرات والوثائق السرية ونقلها إلى المسؤولين من مكان إلى آخر، وتقوم بصناعة المتفجرات، فكانت الفدائية تنفذ دورها في المدن بزيها النسوي المدني وتعيش وسط السكان حتى لا تثير شكوك الاستعمار (برحايل، 2000: 186).

فقد أدت أدوارا مشرفة متمثلة في العمل الفدائي والاتصال والإخبار وجمع الأموال ونشر أخبار الثورة وتطوراتها، وأيضا العمل على تحطيم دعايات العدو، وهذا ما مكنها من إدخال الرعب في صفوف المستوطنين، كما كانت تساهم في بعض الأحيان في صنع عبوة المتفجرات والألغام وتبقى أياما عديدة داخل المخابئ المتواجدة في بطون البيوت (بومالي، د ت: 420).

وهكذا كانت الفدائيات تخاطرن بحياتهن تارة بالتمويه، وتارة بإغراء بعض الجنود، وتارة أخرى بأخذ ببعض المعلومات لتنفيذ بعض المهام الموكلة إليهنّ، كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن أغلب الفدائيات هن من الطالبات اللواتي تخلين عن مقاعد الدراسة تطبيقا لنداء جبهة التحرير الوطني (برحايل، 2000: 187).

وهكذا برزت المرأة الجزائرية في العمل الفدائي حيث تطوعت بوضع القنابل ونقل البريد والسلاح، ولم تقف على هامش الثورة، بل تمكنت من أن تكون في الموعد غداة انطلاق المسيرات الأولى، فساعدت الفدائيين في عملياتهم وما سبق أسلوب التمويه والاستدراج للإيقاع بالعملاء والخونة (بومعراف، د ت: 25).

المرأة المناضلة

مهمتها تكوين نظام سياسي نسائي مشكل من خلايا أو أقسام وأفواج من أجل تعبئة الجماهير وتوعيتها وتنشر مبادئ الثورة وتوزع المناشير، هذا النظام النسائي انتشر خارج الجزائر عبر المغرب وتونس وحتى أوروبا مما ساهم في تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية ومساعدة الثورة التحريرية بالتبرعات والإعانات التي كانت تأتي بالأخبار الهامة التي تفيد جبهة وجيش التحرير الوطني (درار، 1985: 138).

وكانت تقوم بالدعاية للثورة والترويج لها وذلك من خلال نقل الأخبار والتشهير بالعملاء والإشادة ببطولات المجاهدين والتكلم عن خسائر العدو وعن نقاط إخفاقه وعن قرب تحقيق الاستقلال، إضافة إلى مشاركة المرأة في المظاهرات والمسيرات حيث كانت المشجعة لأبنائها وزوجها من أجل الوطن (أو علي، 2015: 74).

لقد لعب الاتحاد النسائي دورا هاما في توعية المرأة الجزائرية بصفة عامة وتوجيهها إلى الثورة والمشاركة فيها وإعدادها وفق المقومات الوطنية، إضافة إلى ذلك فإن المناضلة قامت بإعداد المناشير وترجمة القوانين العسكرية وكتابة التقارير والرسائل، وبعضهن يسهرن على الحصول على معلومات مفيدة للثورة (بومالي، د ت: 428).

وتوجد مجاهدات مناضلات يرسلن من طرف القيادة العليا للقيام بدور المحافظة السياسية ومراقبة الجنديات والاطلاع على الأوضاع والاتصال بالمنظمات النسائية وبث فيهن الروح النضالية وانتقالهن عبر المناطق لإلقاء نظرة شاملة على الوضع السائد، وتدوم هذه المراقبة عدة أشهر، إضافة إلى دورها في تنظيم التظاهرات في المدن ورفع الأعلام ومطاردة المستعمر (درار، 1985: 35).

المرأة الجندية المجاهدة

أحدثت مشاركة المرأة في الكفاح المسلح إلى جانب الرجل انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار، وقد استقبل جيش التحرير المرأة المجاهدة باعتزاز وفخر واحترام وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن وهذا ما جاء في مؤتمر الصومام 1956 الذي أشاد بالشجاعة الثورية للفتيات والنساء والزوجات والأمهات اللاتي يشاركن بنشاط كبير بالسلاح أحيانا في الكفاح في سبيل تحرير الوطن.

تميزت المرأة الجزائرية بصلابتها وقوة تحملها الصعاب والصبر أمام الشدائد، كما أن دورها في الحروب والمعارك لم يكن يختلف أو يقل في الكثير من الحالات عن دور المجاهد، فهي لا تعرف التعب ولا تبالي بالموت، وتعالج المرضى، وتسعف الجرحى داخل المغارات والكهوف، وتنفذ أوامر المسؤولين متحدية القوى الفرنسية، فهي تبذل كل ما بوسعها لإنقاذ المجاهدين المصابين. ونرى في هذا المجال عمل المجاهدة تقوم به بإتقان وإخلاص حيث تبعث في نفوس المجاهدين الأمل والإيمان بالنصر والثقة بالنفس (المدني، 1981: 260).

المرأة المسبلة

هي التي تقوم بالاتصال بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني وحراسة المجاهدين في أثناء عملياتهم الفدائية، فتقوم بنقل الأخبار إلى القيادة العسكرية فضلا عن شرائها الأدوية وتوزيعها، وشراء المواد الغذائية والملابس التي يحتاجها المجاهدون، ونقل السلاح والوثائق إلى مراكز الجيش، وقد كانت المسبلة ترتدي الزي المدني أيضا (بومالي، د ت: 431).

دور المرأة المسبلة في الاتصالات

كانت تنقل الأخبار والبريد بصورة شفوية، وأيضا تنقل الوثائق، وإن مهمة الاتصالات أسندت بشكل كبير للنساء مقارنة بالرجال؛ لأنهن يتمكن من العبور لمسافات كبيرة دون أن ينتبه العدو لحركاتهن (يحياوي، 2007: 34).

دور المرأة المسبلة في الاستعلامات

هي مهمة الاستطلاع على مواقع وتحركات العدو وتزويد جيش التحرير بالمعلومات الحقيقية ومعرفة عدد الجنود وأسلحتهم؛ لتجنب الوقوع في كمائن المستعمر الفرنسي وإفشال الخطط، وقد أدت النساء خدمة كبيرة للثورة وبالأخص النساء المتزوجات من عسكريين فرنسيين. ونذكر هنا (ربيعة)، وهي إحدى المسبلات من مدينة باتنة كانت لها اتصالات بأفراد جيش التحرير الوطني الذين تزودهم بمعلومات تتحصل عليها من زوجها الذي كان ضابطا في الشرطة بعد أن توصلت إلى إقناعه للعمل

لصالح الثورة، إذ كان ينقل لها كل المعلومات حول خروج الجيش الفرنسي والعناصر المستهدفة بغرض الاعتقال، ومن جهتها تبلغ المسؤولين الذين بدورهم يحذرون الإخوة المعنيين (يحياوي، 2007: 39).

دور المرأة في جمع الاشتراكات

كلفت جبهة التحرير الوطني النساء بجمع التبرعات، وكان عددهن قليلا، لا يتعدى نسبة10%ويعود السبب إلى أن الأموال من صلاحية الرجل؛ لأنه رب الأسرة والمسؤول عن العمل، والمرأة كانت ماكثة بالبيت إلا في حالات تسير المرأة الميزانية للأسرة في حال غياب الأب أو الطلاق، فالمرأة تجمع التبرعات من المال وبعض الأحيان الذهب، وتجمع الثياب من أغلب العائلات التي تشارك في التبرعات من أجل الثورة الجزائرية وتوزعها على عائلات الشهداء وأبنائهم وعائلات السجناء، وهذا ما حفز المواطنين على المساهمة في الدفع وجمع الأدوية والمستلزمات الطبية التي يحتاجها المجاهدون الجزائريون في الجبال، وفي حال الكشف عن أمر المجاهدين، فإن الفرنسيين يسلطون عليهن أبشع وسائل التعذيب (يحياوي، 2007: 27-28).

دور المرأة في التمويل والتموين

دعم جيش التحرير الوطني بالطعام والشراب واللباس والسلاح والأدوية، وكان للتموين أثر كبير في نجاح الثورة الجزائرية في توفير احتياجات المناضلين وقادة الجيش، وقد قامت المرأة بإعداد الخبز والطعام الذي كانت توصله سيرا على الأقدام والمسافات البعيدة متحدية السلطات الفرنسية، وتأخذ الطعام والتمويل إلى مراكز المجاهدين (قنطاري، د ت: 18).

دور المرأة بالإيواء

هو استقبال المسبلات والمجاهدين في منازلهن، وإن الإيواء يختلف في المدن عن الريف؛ حيث كان الإيواء في المدن يكون عدد من المسبلات والمجاهدين محدودا والإقامة طويلة، فقد يكون المجاهد إما جريح أو مريضا جاء من الجبل لتلقي العلاج، وعلى المستقبل لهم توفير الطعام للمجاهدين، أما في الريف يستقبل المسبل عادة أعدادا كبيرة من المجاهدين ولمدة قصيرة تدوم ليلا أو نهارا واحدا فقط (درار، 1985: 40).

دور المرأة في الريف

لقد كانت المرأة بدورها حاضرة منذ بداية الثورة التحريرية، وعانت الأمرين إلى جانب الرجل، حيث تلقت خلالها كل أنواع البطش والاضطهاد، وعلى الخصوص المرأة الريفية التي تحملت أكثر الاضطهاد أيام الاستعمار (كافي، د ت: 315).

فالمرأة في الريف كانت تنقل اللوازم التي يحتاجها المجاهدون بنفسها إلى الجبل بالرغم من كل المخاطر التي كانت تهددها، ولم يقتصر دور المرأة في الثورة على المدن فحسب، بل أدت المرأة في الريف دورا لا يقل أهمية عن دورها في المدن، ومنذ الانطلاقة الأولى للثورة نجد المرأة الريفية سجلت موقفها، حيث التحقت بالثورة وساندت أخاها الرجل فقامت بإيواء جنود جبهة التحرير الوطني، وإطعام الجيش وغسل ملابسهم وعلاج الجرحى والمصابين من الجيش والمجاهدين وجمع المساعدات المالية ونقل الأخبار والمعلومات للقادة العسكريين، وبالرغم من جهل المرأة الريفية وعدم حصولها على التعليم إلا أنها لم تبخل بالتضحية والجهاد في سبيل الجزائر، فكانت ترفض الزواج من المتقدمين لها من الذين لم يلتحقوا بالثورة (كافي، د ت: 31).

لقد كانت المرأة الريفية في أثناء المعارك تقوم بالحراسة وتحفز الثوار على مقاومة العدو وتشجيعهم بزغاريدها (درار، د ت: 108)، وكانت تقوم بنقل الماء واستعمال السلاح الأبيض، وتعاون المجاهدين لقتل العدو، كما كانت تقوم بنقل الجرحى وجمع السلاح في ساحة المعركة، كما عمدت المرأة الريفية إلى وضع راية بيضاء أمام منزلها لكي تعطي إشارة للمجاهدين بأن المنطقة آمنة وأن جيش العدو غير موجود بها، وفي حال وجود المستعمر تقوم بإنزال الراية (قليل، د ت: 376).

وقد أدت المرأة الريفية دورا هاما في مساعدة الثوار وفي تحقيق النصر لجيش المجاهدين، ونتيجة للأعمال البطولية التي قامت بها المرأة الريفية، تعرضت للاعتقال والتعذيب وانتهاك حرمتها، وجعلها المستعمر تحضر عملية إعدام زوجها وأخيها وابنها، وبالرغم من هذا لم تعرف الاستسلام، فكانت صابرة متحدية المستعمر من أجل تحقيق النصر (بومالي، د ت: 124).

كما تجدر الإشارة أنه عند التحاق المجاهدات بصفوف جيش التحرير الوطني بالجبال توزعن عبر مختلف الأقسام ويرتدين الزي العسكري ويحملن السلاح، وقنابل يدوية تعلق في أحزمتهن؛ ولذلك تعدّ المرأة الريفية الوسيلة المثلى لتبليغ للثورة، وهكذا كان إقبال المرأة الريفية على العمل الثوري دون تردد على قدرتها على إنجاز المهام، إذ كانت أكثر عرضة من المرأة الحضرية لانتهاك حرمتها، وكانت تواجه ذلك بالصبر والإصرار على مواصلة المهام.

خاتمة ونتائج الدراسة

لقد تأثرت المرأة مباشرة بما يحدث في بلادها من دمار شامل وإبادة جماعية تقع تحت سمعها وبصرها وإن لم تكن هي ذاتها الضحية وذلك بسبب البطش الاستعماري الذي سلب الممتلكات، فقد كانت معاناتها شديدة فاقت في الكثير من الأحيان معاناة الرجل، فعاشت طول فترة الاستعمار في حالة الجهل والحرمان، لم يعرف لها التاريخ مثيلا، و هذا ما جعل المرأة الجزائرية تلتحق بصفوف جيش التحير الوطني وتقف جنبا إلى جنب مع الرجل في سبيل تحرير الوطن من المستعمرين وبطشهم، وعليه فإن مشاركتها في الثورة التحريرية أعطت دافعا قويا، إذ أثبتت أن الثورة لا يمكن أن تقتصر على الرجل، بل على كل أبناء الوطن والتضامن من أجل إنجاحها، وأنّ المرأة تدرجت في المهام الموكلة لها أيام الثورة، حيث كانت هذه المرأة تأوي المجاهدين في بيتها وتقوم بتوفير الطعام والشراب لهم وتسهر على حراستهم دون أن تخاف من العواقب، وعليه فالمرأة كانت دائما حاضرة وفي الصفوف الأولى، ولقد كانت الثورة منذ بدايتها في هذه البيوت الأسرية حيث كانت المرأة تمثل الأم والأخت بالنسبة للمجاهدين.

وربما تكون أهم النتائج المتوصل إليها هي أن هذا الدور قد تجسد فعليا في الميدان وهو موثق سواء من مختلف الشهادات الحية التي استقيناها من بعض النساء اللواتي صنعن الأحداث، أو من خلال مختلف الوثائق الأرشيفية التي تقدم تقاريرها أخبار مشاركة المرأة في الثورة أو حتى الحديث عما كانت تتعرض له من تعذيب واستنطاق في مراكز الاحتلال الفرنسي.

وكتوصيات بحثية مستقبلا فهناك العديد من زوايا مشاركة المرأة في الثورة الجزائرية يمكن أن تكون دراسات تاريخية مستقلة وقائمة بذاتها وخارجة عن المشاركة المعتادة كالتمريض والطبخ وغيرهما، فقد كان للمرأة بعض الأدوار الأخرى كالاستعلام، وجمع التقارير وغيرها، ومنه يمكن أن نقترح دراسة بعض النسوة كنماذج لم تسبق دراستها من قبل، ويكون ذلك أفضل لو تركز هذه الدراسات على نساء في الأرياف وفق توجه دراسة التاريخ المحلي

قائمة المراجع

1- المدني، أحمد توفيق. (1981). حياة كفاح. ج3. (د ط). الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
2- أو علي، أنيسة. (2015). حسناوات الجزائر مثال التضحية والفداء. مجلة أول نوفمبر اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين. العدد 179. الرويبة. الجزائر.
3- درار، أنيسة بركات. (1985). نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. (د ط). الجزائر. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
4- درار، أنيسة بركات. (د ت). آراء ومحاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر. (د ط). الجزائر. المؤسسة الوطنية للفنون.
5- برحايل، بلقاسم. (2000). أبطال الأوراس الشهيد حسين برحايل نبذة عن حياته وكفاحه وتضحياته. (د ط). الجزائر. مطبعة البدر.
6- خيار، خديجة. (1974). عفة المرأة المجاهدة ضمان الثورة التحريرية لكرامتها. مجلة أول نوفمبر العدد7.المنظمة الوطنية للمجاهدين.
7- وسيني، زهور. (1963). المرأة الثورية في الرواية الجزائرية، لونجة والغول. (د ط). الجزائر. م طبعة دحلب، حسين داي.
8- خليفة، عبد القادر. (2015). محطات من تاريخ الجزائر المجاهدة 1830 – 1962. (د ط). الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.
9- بوصفصاف، عبد الكريم. (1997). جهاد المرأة الجزائرية وتضحياتها الكبرى في ولاية سطيف. (د ط). باتنة. الجزائر. مطبعة عمار قرفي.
10-كافي، علي. (د ت). مذكرات الرئيس علي كافي من مناضل سياسي إلى قائد عسكري 1956-1962. (د ط). الجزائر. القصبة للنشر.
11- قليل، عمار. (د ت). ملحمة الجزائر الجديدة. ج 1. (د ط). الجزائر. دار البعث.
12- بومعراف، فاطمة. (د ت). جوانب من نضال المرأة في الأوراس. مجلة التراث. العدد 2. دار الشهاب للطباعة والنشر.
13- بالي، لحسن. (2010). المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954 - 1962. تر. علي صاري حكمت (د ط). الأبيار. الجزائر. منشورات تالة.
14- بومالي، لحسن. (د ت). أدوات التجنيد والتعبئة الجماهيرية أثناء الثورة التحريرية 1954 – 1956 (د ط). دار المعرفة.
15- الزبيري، محمد العربي. تاريخ الجزائر المعاصر. ج 1. (د- ط). منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق سوريا،1990.
16- قنطاري، محمد. (د ت). بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي. (د-ط). الجزائر. دار الغرب للنشر والتوزيع.
17- بونقاب، مختار. (2014). مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية (1954 – 1962). الجزائر.
18- المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية. كفاح المرأة الجزائرية. ط2. الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. 2007

19- يحياوي، مسعودة. (2007). دور المرأة في الثورة التحريرية. (د ط). الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. دار هومة.

20- عرفي، مصطفى. (2015). اتصال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. رؤية سوسيولوجية. جامعة باتنة. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية.

21- منظمة المجاهدين مديرية مكتب المجاهدين بولاية الجزائر. (د ت). جهاد المرأة الجزائرية وتضحياتها الكبرى. وزارة المجاهدين.

22- منظمة المجاهدين مديرية مكتب المجاهدين بولاية سطيف. (د ت). المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى. وزارة المجاهدين.

23- بوعزيز، يحي. (2001). المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية. (د-ط). الجزائر. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

24- بشي، يمينة. (2000). مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال. جريدة المصادر. العدد 3. الجزائر. المركز الوطني للدراسات والأبحاث حول الحركة الوطنية. نوفمبر 1954.